لبنان الجمال والنبل الى لبنان الدم تقع تبدلات تطرأ على الثقافة الانعزالية · وكل مرحلة من المراحل المتعاقبة على هذه الثقافة يتشكل مفهوم ثقافي للبنان يتحدد بعلاقاته السياسية وصراعاته وسلمه · يونس الابن في كلامه الى الاخوة بين اللبنانيين وعلى وحدة الهدف والمصير التي تجمعهم يستقر في مرحلة من مراحل تطور الوعي اللبناني للبنان ، رغم انه يعلن انتماءه لفئة منهم على الصعيد العملي ·

يشكل مصطفى جحا حالة فريدة في الكتابات الإنعزالية ، انه وافد الى المناطق الانعزالية طوعا · والاهمية التي منحته اياها جريدة العمل تنبع من هذا المنطلق · حاولت جريدة العمل التعريف به ، بانه « الهارب من جور الارهاب الفلسطيني » ·

وكتابات مصطفى جحا تختلف نوعيا عن الكتابات الاخرى · انه يميل يوميا الى تقرير الواقع السياسي المتبدل ، وهو ، في كتاباته يكتفي بالرسائل يبعثها الى اهله واعدائه و « المحتلين ارضه » · ولم تستطع جريدة العمل ان تدرجه في سياق الادباء والفنانين الذين حملوا قضيتها في الحرب · بقيت كتاباته دون تاريخ ، بقيت قولا سياسيا ليس له ما يؤهله في التراث الانعزالي المستمر منذ الكتابات الاولى حول لبنان · لهذا اكتفى مصطفى جحا بكونه حالة خاصة تمتعت بحق اللجوء الادبي دون ان يعطيه اللجوء ملامح « الامة » التي انتمى اليها ·

وقد يحتج الكثيرون عند قراءة هذه الصفحات على النماذج السيئة التي تم اختيارها · وقد يقال ، ان مصطفى جحا مثلا لا يجوز تناوله بالنقد لانه لا يستحق حتى ذكر الاسم ، وكذلك الامر بالنسبة للكثير من النصوص والادباء الذين تم التعرض لهم ·

الاجابة على هذا الاحتجاج تكمن في الادب الانعزالي نفسه · اذ الانعزالية والفاشية لا تحاولان الفن ، بل تحاولان في الكتابات التي تصدر عنهما الدعاية والتعبئة ، يريدان ان يكون الادب ذا فائدة فحسب · وقد تم تناول الادب الانعزالي في هذه المقالة باعتباره تعبيرا عن هذه الحالة · انه رديء في معظمه ولا يستحق حتى القراءة · ولكنه ، رغم رداءته ، يقول الكثير ، ويصل الى الاسس التثقيفية التي عبأ بها القادة العسكريون مسلحيهم المستنفرين ابدا ·

لهذا تكون دراسة الكتابات تلك تتسم بالمنحى الاجتماعي ، لانها تقدم مفاتيح للفهم ، دون ان تطمح الى أن تشكل اضافة ·

□

لقد رحل الادب الانعزالي بفترة قصيرة الى طروحات الادب الفاشي وموضوعاته · اذ ان الموضوعات التي تكلم عنها الشعراء الانعزاليون هي ذاتها التي تناولها الفاشيون · وكذلك طبيعة العلاقات الخاصة التي تحكم الفن تجدها متشابهة في الادبين · لقد استطاع الانعزاليون أن يصلوا الى ما قاله هتلر وموسوليني وزيغلر وغيرهم · ولدى متابعة النصائح التي اسداها كل من هؤلاء الى الادباء ، نجد ان النصائح نفسها تم الاستفادة منها في أدب حرب السنتين · العلاقة بالارض والوطن والموت والدم والغريب المغتصب هي ذاتها في الادبين ·

هذا يدفعنا الى الاستنتاج ان الانبثاق الاخير للايديولوجية اللبنانية كمن في تلاقيها مع الفاشية · ويبدو ذلك طبيعيا ، لان في الانعزال الذي يقوم على سحر الطبيعة وخصوصية العرق والحلم الذي لا يتحقق الا عبر القيم الغامضة · في هذه العناصر تكمن فاشية مؤجلة ، لا تلبث ان تتحقق وتكتمل حين « يتهدد الوطن » وتتطلب الارض الدم ·